شرح قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم

تعدُّ قصيدةُ اللغةِ العربيَّة لحَافظ إبراهِيم من أشهر قصائد الشاعر والتي يمدح فيها اللغة العربيَّة، ويبدأ فيها بقوله: رَجَعتُ لِنَفسي فَاتَّهَمتُ حَصاتي وَنادَيتُ قَومي فَاحتَسَبتُ حَياتي، ويبلغ عدد أبيات القصيدة 23 بيتًا، وقد نظمها الشاعر على البحر الطويل وقافية التاء مع الياء، وفيما يأتي سوف يتم إدراج الشرح بشكل مفصل وشامل:

رَجَعتُ لِنَفسي فَاتَّهَمتُ حَصاتي
وَنادَيتُ قَومي فَاحتَسَبتُ حَياتي
رَمَوني بِعُقمٍ في الشَبابِ وَلَيتَني
عَقِمتُ فَلَم أَجزَع لِقَولِ عُداتي
وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِد لِعَرائِسي
رِجالاً وَأَكفاءً وَأَدتُ بَناتي

يتحدث الشاعر حافظ إبراهِيم على لسان اللغَة العربيَّة نفسها فيقول: لقد بدأ الناس يتحدثون باللهجات العامية ويتركون اللغة الفصيحة وقد فسدت ألسنهم، وأنا وجَّهت اللوم لنفسي، واعتقدت أن المشكلة فيَّ أنا، ولكنني استغثت بقومي وأبنائي واستنجدت بهم ولكن لم ألقَ منهم إجابة ولم أسمع مجيبًا، فاحتسبت وجودي بينهم لوجه الله تعالى وخدمة دينه ورضاه، ولكنهم صاروا يتهمونني بالقصورر والعقم عن مواكبة كل جديد وحديث، وتمنيت فعلًا لو كان بي عقم حتى لا أحزن وأضطرب من أقوالهم، وقد أنجبت كثيرًا من الألفاظ لأنني لغة معطاءة وولادة، وتوجد بي ألفاظ لا حصر لها، ولكنهم لم يحسنوا استعمالها ولم تحظَ تلك الألفاظ بأهمية فآثرت أن أدفنها وأتخلص وهي ما تزال حية.

وَسِعتُ كِتابَ اللهِ لَفظاً وَغايَةً
وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ
وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ
فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

لقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم باللغة العربية، ولم تضق اللغة العربية عن كلام الله، وقد وسعت كل الآيات والسور والعظات، فهل سأضيق وأعجز عن وصف بعض الآلات الجديدة التي تظهر في العصر الحديث أو أعجز عن أسماء بعض الاختراعات الجديدة، أنا مثل البحر الذي توجد في أعماقه الجواهر واللآلي، فيا ليت أبنائي سألوا أهل اللغة المختصين عن الأسرار والجواهر الكامنة في أعماقي.

فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني
وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أَساتي
فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني
أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحينَ وَفاتي
أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِزّاً وَمَنعَةً
وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ

فيا ويحَكم بمعنى الترحم والتوجع، كيف أبلى وأفنى وكيف تفنى محاسني، وهل يمكن أن أضعف وأصل إلى الهلاك، بالتأكيد لا لن يحدث ذلك، فرغم اليأس إلا أنَّ الدواء سوف يكون منكم وسوف يخرج منكم من يعيد لي نضارتي ويعرف أهميتي، فأرجوكم ألا تتركوني عرضة للأزمان فإنّي أخشى عليكم أن تضيعوا وتصبحوا من دون لغة ومن دون هوية إذا ما متُّ أنا وانتهيت، وقد تنبهرون بالعز والمنعة والقوة والحضارة التي وصل إليها الغرب، وما ذلك إلا بتمسكهم بلغاتهم وتاريخهم وحاضرهم.

وَفاخَرتُ أَهلَ الغَربِ وَالشَرقُ مُطرِقٌ
حَياءً بِتِلكَ الأَعظُمِ النَخِراتِ
أَرى كُلَّ يَومٍ بِالجَرائِدِ مَزلَقاً
مِنَ القَبرِ يُدنيني بِغَيرِ أَناةِ
وَأَسمَعُ لِلكُتّابِ في مِصرَ ضَجَّةً
فَأَعلَمُ أَنَّ الصائِحينَ نُعاتي

لقد تفاخرت على أهل الغرب وتفوقت عليهم بالفخر، ولكن أبنائي من أهل الشرق رؤوسهم في الأرض وهم في خجل من أجدادهم الذي افتخروا بي قديمًا، وفي كل يوم أرى العثرات والأخطاء والجرائم التي يرتكبها الناس بحقي، وهذه الأخطاء هي التي تقربني إلى القبر شيئًا فشيئًا وبسرعة من دون توقف، وعندما كنت أسمع الأصوات التي تصدح من قبل بعض الكتاب وتدعو إلى التحدث باللغة العامية والكتابة بها فأعلم أنَّ هذه الأصوات بمثابة نعاة يعلنون وفاتي ويريدون أن يتخلصوا مني.

أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللهُ عَنهُمُ
إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِلِ بِرُواةِ
سَرَت لوثَةُ الإِفرَنجِ فيها كَما سَرى
لُعابُ الأَفاعي في مَسيلِ فُراتِ

فَجاءَت كثَوبٍ ضَمَّ سَبعينَ رُقعَةً
مُشَكَّلَةَ الألوانِ مُختَلِفاتِ

هل يعقل أن يهجرني أبناء قومي ويتركونني وأن يتوجهوا للحديث بلغات أخرى أجنبية وغريبة وضعيفة وليس لها رواة ثقاة كما لي أنا، أسأل الله تعالى أن يعفو عنهم، وللأسف فقد شاعت اللهجة العامية من خلال اختلاط اللغات الأجنبية مع بعض السموم التي يبثها الغرب من أجل القضاء على اللغة العربيَّة، وكأنَّ تلك اللهجات مثل لعاب الأفاعي السام، وقد أصبحت اللغةُ العربيَّة مثل ثوب مرقع فيه أكثر من سبعين رقعة مختلفة الألوان والأشكال بسبب كثرة اللهجات وما دخل إليها من اللغات الأخرى من ألفاظ وتعابير.

فَإمّا حَياةٌ تَبعَثُ المَيتَ في البِلى
وَتُثبِتُ في تِلكَ الرُموسِ رُفاتي
وَإمّا مَماتٌ لا قِيامَةَ بَعدَهُ
مَماتٌ لَعَمري لَم يُقَس بِمَماتِ

تختم اللغة العربية قولها بأنها تريد أن تحيا حياةً تستطيع من خلالها أن تحيي كل مات قلبه وبصره من أبنائها وأن تنمو من جديد مثل حقل بديع تنبت فيه رفاة اللغة العربية بكل ما فيها من ثراء وعظمة وعراقة، أو أن تموت ميتة لا قيامة بعدها لها ولأبنائها، لأنهم إذا ظلوا على حالهم يسيرون في طرق الضلال والعبث، فإنَّ مصير اللغة العربيَّة إلى الزوال والفناء وبالتالي ضياع الهوية العربية وضياع أبنائها من بعدها إلى الأبد.

الصور الفنية في قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم

لقد احتوت هذه القصيدة على الكثير من الصور الفنية والبلاغية التي تضفي على معانيها لمسات جمالية وفنية رائعة وتقدمها إلى القراء بطريقة بديعة وعذبة، كما تستخدَم تلك الصور البيانية في الشعر العربي بشكل كبير ولها العديد من الأنواع والأشكال مثل التشبيهات والاستعارات والطباق والكنايات وغير ذلك من ألوان البلاغة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في قصيدة حافِظ إبراهِيم في اللغةِ العربيَّة:

- **أسلوب الكناية**: كنَّى الشاعر عن معاني كثيرة من خلال ألفاظ وعبارات حيث استخدمها في غير معانيها الأصلية، كما في قوله: وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِد لِعَرائِسي رجالاً وَأَكفاءً وَأَدتُ بَناتي، بهذه الجملة كنى عن أنَّ اللغة العربية أنتجت كثير من الألفاظ الجديدة التي أهملها أبناؤها.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق في القصيدة أكثر من مرة كما في قول الشاعر: وَسِعتُ كِتابَ اللهِ لَفظاً وَغايَةً وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ، وردت في هذا البيت كلمة وسعت وكلمة ضقت وهما كلمتان متعاكستان يمثلان أسلوب الطباق.
- **تشبيه بليغ**: ورد التشبيه البليغ في قوله: أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ، فقد شبه اللغة العربية بالبحر وحلَّ الضمير محل اللغة العربية، فالمشبه هو أنا والمشبه به هو البحر، ووجه الشبه أنَّ الدر كامن في أعماق كل منهما، ولكنه حذف أداة الشبه، ولذلك يسمى هذا الأسلوب التشبيه البليغ.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم

إنَّ كثيرين من القراء في العالم العربي يعانون من بعض الصعوبات في معرفة معاني بعض كلمات القصائد خصوصًا القصائد القديمة، حيث أنَّ العديد من الكلمات التي يستخدمها الشعراء في الشعر غير مستخدمة في الحياة العادية، ونظرًا للفارق الكبير بين اللهجات العامية في الدول العربية واللغة العربية الفصحى المستخدمة في القصائد والأدب العربي فإنَ الصعوبة تزداد في فهم تلك الكلمات، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أهم المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
حصاتي	عقلي ورزانتي وحصافتي
أجزع	أخاف خوفًا شديدًا وأحزن
وأدت	دفنتها حية
عقيمة	لا تلد ولا تنجب
البلى	الزوال والفناء واختفاء الأثر نهائيًا
لوثة	صعوبة في النطق وحبسة في اللسان

الأناة	التمهل والرفق
الرموس	جمع رمس وهي القبور
رقعة	ما يتم فيه رقع أو إغلاق الفتحة أو الخرق في الثوب
رفاتي	حطامي وبقايا عظامي
فرات	شديد العذوبة